

بدءاً من المقدمة :

نشأ صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في ظل هيمنة أمريكية جعلت الاتحاد السوفيتي يسعى لتكوين مناظر لهما (الكوميكون) وحول كل قطب استتعال شتى الوسائل لاستقطاب الدول فكانت المعونات والقروض من الوسائل الهامة في عمليات الاستقطاب وبدأت أوروبا منذ السبعينيات في اتباع نفس سياسات الترغيب والترهيب والضغط وحاولت دول العالم الثالث أن تنتهج سياسة ما عرف بالحياد الإيجابي الذي أتاح لمصر أن ترفض الضغوط الأمريكية في عدم تمويل السد العالي وأن تلجأ إلى الاتحاد السوفيتي في بناء السد العالي ، ولكن على الرغم من ذلك فإن المنظمات التابعة للأمم المتحدة لم تتحرر من هيمنة القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية .

وتستهدف الدول الكبرى الدول الفقيرة (دول الهامش) تابعة للدول الكبرى (دول المركز) وإذا كان العقل الأمريكي هو عقل براجماتي وذرائعي ومعياري الحقيقة لديه هو لمنفعة والمصلحة فإن تقاريرهم تفيد أن تلك المعونات والمنح والقروض تتفق مع مصالحهم القومية ضمناً لتبعية الدول الفقيرة حتى تظل في الهامش ذلك لأن معدلات التنمية والمدخرات الوطنية والاستثمار غالباً تتناقص مع زيادة المعونات والقروض فالمسألة في جملتها ليست تدعياً للتوجهات الإنسانية أو من أجل تدعيم مفاهيم الأخوة والشراكة على ظهر الكوكب وإذا كان التسليح يعد المجال الأساسي لتلك المعونات فإن التعليم دخل تلك الدائرة الخبيثة نتيجة إدراك أن التعليم أداة أيديولوجية تسهم في إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية وبالتالي فإن ما يسمى بالنبخة أو الصفوة الحاكمة في دول العالم الثالث المرتبطة مصالحها بالدول الكبرى تجد أن ارتباطها الاقتصادي بدول المركز يدعمه نظام التعليم تحت دعاوي التحديث على اعتبار أن النموذج التنموي الغربي هو النموذج الوحيد للتنمية ومؤسسا التعليم التابعة تدعم آليات التبعية الاقتصادية وبالتالي لا غشاضة أن يستهدف التعليم في أفريقيا ، تكوين أمريكيين ثقافياً وتعليمياً سود البشرة.

وعلى الرغم من أن المعونات تظل رهينة الموقف السياسي للدول الفقيرة إلا أن الدول المانحة عادة تحدد نوعية الخبراء والأجهزة .

وتتعدد المجالات والمشروعات التعليمية التي يقدم لها العون من إنشاء مدارس أو تدريب معلمين أو القيام بأبحاث وعقد مؤتمرات أو استحداث هيكل إدارية ، ونجد أن العون الأمريكي والخاص بالبنك الدولي يستهدف إحداث تغيرات في المنظومة التعليمية مثل تطبيق مشروع التعليم الأساسي ، وإذا كانت اليونسكو ترى أن التعليم الأساسي هو الحد الأدنى الضروري من القيم والمفاهيم والاتجاهات والمهارات فهذا يعني أن الدول التي تريد الدخول في عصر المعلوماتية تحتاج إلى تعليم عال عالي الجودة وإن التعليم الأساسي الذي يتم تقديم العون له يستهدف إعادة إنتاج التخلف فإذا كنا نجد كليات في برنامج الانتخابي الثاني يتحدث عن تعليم عال عالي الجودة للجميع ، نجد أن التعليم للجميع للدول المتخلفة ينصب على التعليم الأساسي الذي هو تعليم فقير في فلسفته ومخرجاته ، وفي نفس الوقت نجد الدعاية إلى ما يسمى بمدارس الفصل الواحد من قبل الهيئات والدول المانحة ، فإذا كانت المدرسة متعددة الفصول تم اختزالها في فصل واحد فإن الدول الصناعية الكبرى تعمل على إيجاد وسائل ومؤسسات تربوية إلى جانب المدرسة متعددة الفصول ، كما نجد أن المانحين يهتموا بالتعليم التطبيقي والفني دون تشجيع يذكر لصيغ وأنماط التعليم التي تزواج بين الفكر والممارسة في بنيتها ومناهجها وهذا يعني أن العون الخارجي له تأثير على السياسات التعليمية وعلى البنى التعليمية والمحتوى الدراسي .

لهذا سوف ينصب هذا العمل حول تعريف مدى تأثير العون الخارجي على السياسة التعليمية ومعرفة القوى والعوامل المؤثرة في تقديم المعونات مع تحديد أهداف هذا العون وجهاته ومجالاته ودوره في تطوير/ تخلف النظام التعليمي مع بيان أوجه الاستفادة من ذلك العون .

مع التأكيد على أن فقر الفكر أخطر من الفقر المادي وأن هذا العون توجهه مصالح ورؤى لقوى مهيمنة مرتبطة بدول المركز وليس من أجل الإحسان أو التعاون الدولي و الشراكة المزعومة .

ونظراً لأننا نحتاج إلى رؤية نقدية تفكك الخطابات والوقائع في شتى المجالات فإن هذا العمل النقدي يعد عملاً مهماً في هذا الصدد وهو في جوهره عمل علمي قام بالإشراف عليه المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الفتاح جلال وأعدته الدكتورة فاتن عدلي المدرس بمركز البحوث التربوية وهي من شباب الباحثين ذوي الرؤية النقدية والموقف الوطني الذي عز وجوده في مجال التربية نتيجة عوامل كثيرة في مقدمتها الحرس القديم الواقعين في حلقة التبعية من التراث أو لكل وافد غربي بدون فكر نقدي يشبع التراث والوافد الغربي نقداً لمصلحة المستقبل .

أ.د. طلعت عبد الحميد

كلية التربية - عين شمس